بسم الله الرحمن الرحيم

{وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون}

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إليكَ يا إشعاع الفكر، وينبوع الحكمة.

إليكَ يا ملاذ المنكوبين والمحرومين.

إليكَ يا من انحدرتَ من أكرم المناسب.

إليكَ يا من انتميت إلى أطيب الأعراق.

إليكَ يا إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين.

إلى مقامك العظيم أهدي هذا البحث المتواضع. فكن سيدي لوالدي ووالدتي العزيزين شفيعاً يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

المقدمة

{بسم الله الرحمن الرحيم}

و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد بن عبد الله و آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً سيّما خليفة الله في أرضه و حجته على خلقه خاتم أوصياء الرسول الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام و عجل الله تعالى ظهوره الشريف).

حينما نبحث عن اجتماعي الغدير و السقيفة فإنما نبحث عن أهم حدثين في الإسلام: حدث جاء يحمل في طيّاته سبب بقاء الأمة وسبب شموخها و امتداد سلطانها و انتشار مثلها العليا حتى تصل جميع أرجاء الدنيا لتملأها قسطاً و عدلاً، و يواصل مسيرة النور و الهدى التي بدأها الرسول الأعظم (ص)، ومهد لها جميع من تقدم من الأنبياء و الأوصياء و الصالحين...

وحدث جاء يحمل في طيّاته كل وسائل الهدم والانحراف .. جاء يستهدف تلك المثل العليا و ذلك البناء الإنساني الشامخ الذي شيده الرسول الأعظم (ص) و آل بيته (ع) ومن تبعهم من المؤمنين. فقد شيدوه بدمائهم الزكية ، و تضحياتهم و جهادهم المرير. حدث جاء ليجسد كفاح العظماء و المصلحين الذين ساهموا في وضع أسس الفكر الإنساني و مقومات الحضارة الاجتماعية بعد بلورة القضايا المصيرية لجميع شعوب الأرض. في حين جاء الحدث الآخر ليجعل من الإنسان عبداً لشهواته و أسيراً لرغباته و غرائزه.

حدث جاء ليتم مسيرة القادة المصلحين الذين حققوا معاجز عظيمة على مسرح الحياة، و قادوا الإنسانية نحو أهدافها و آمالها، و دفعوا بها إلى إيجاد مجتمع متوازن تتحقق فيه الفرص المتكافئة التي ينعم فيها الناس على اختلاف قومياتهم و أديانهم.

وحدث جاء ليشيع الظلم والجور والاستبداد، وليوغل في اضطهاد الناس واستعبادهم لسلطان العصبيات القبلية وآلهة الدول التي غرقت في لياليها الحمراء. حدث جاء ليجسد كفاح هابيل الصفوة، وإبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى الكلمة، ومحمد الرحمة لإحقاق الحق ونشر العدل والحرية في ربوع الأرض.. في حين كان الحدث الآخر حلقة في مسلسل البغي والعدوان على إنسانية الإنسان الذي لعب أدواره قابيل، ونمرود وأمثالهما من مستكبري و متجبري التاريخ البشري.

حدث كان يمثل عنصر الخير و له علاقة بالآية الكريمة: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً**}.

و حدث كان يمثل عنصر الشر و له علاقة بالآية الكريمة: {**وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**}.

إن أولياء الأمر بعد رسول الله (ص).. هم من كانت قواهم العقلية وافية بمعارضة قواهم الشهوية.. هم من فسروا لغز الحياة، و الكون، و الإنسان.. هم أهل البيت (ع)، و من قال بخلاف ذلك فقد انحرف عن تعاليم السماء التي جعلت حضراً على ولاية الإنسان العادي لأنه لا يقدر على كسر نفسه عند الشهوات، ولايزعها عند الجمحات. فهو مذنب وكل مذنب ظالم، والظالم لا يناله عهد الله

تبارك و تعالى لقوله: { لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}. والمراد بالعهد هنا الإمامة لقوله. {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي، قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}.

إذاً لا بد من إمام هاد يقوم بوظائف النبي (ص) و يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة. فإن المحافظة على الدين بفرض الحلال حلالاً، و فرض الحرام حراماً على الناس، و الدفاع عن الدين ضد العابثين، و أتباع الشهوات و الدعوة إلى الدين. كل ذلك من شؤون أئمة أهل البيت (ع).. لأنه في الواقع خارج عن قدرة الآخرين لجهلهم بالدين ولخضوعهم للرغبات والشهوات، ولذا يقول الرسول (ص): (في كل خلفٍ من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن الدين تحريف الضالين و انتحال المبطلين، و تأويل الجاهلين..) مشكات المصابيح ص ٣٦ وأخرجه البيهقي.

بعد وفاة الرسول (ص). كانت الأمة تمارس حياتها السياسية والاجتماعية على أساس أطروحتين:

أطروحة ــ استمدت أصولها من اجتماع الغدير ــ سار عليها الإمام أمير المؤمنين في حكمه. و أطروحة ــ استمدت أصولها من اجتماع السقيفة ــ سارت عليها حكومة أبي بكر و عمر و عثمان. حكومة الإمام (ع) كانت ترى المال هو مال الله والناس سواسية والمسلمين كلهم عبيد الله لا فرق بين قرشيهم، وعربيهم. وبين عربيهم، وأعجميهم. وبين مسلمٍ، ومسلمٍ آخر.

أما حكومة الخلفاء الثلاثة فكانت تنظر إلى الأمة على أنها قطيع تتحكم فيه كيف ما تشاء و أرض الإسلام مزرعة ينتفع بخيراتها من تشاء و تحرم من خيراتها من تشاء. حكومة الإمام أمير المؤمنين (ع) ساوت بين الأمة في العطاء، و منحت الحريات للناس كافة، و أسندت أمر الأقاليم الإسلامية إلى رجال من أهل الدين و الفقه و الحزم، و اهتمت بشؤون التربية و التعليم، وجعلت التقوى هي القاعدة للتكريم. أما حكومة الخلفاء الثلاثة فقد استعانت بالمنحرفين و غير الكفوئين في شؤون الأمة الإدارية والقضائية، وميزت بين المسلمين في العطاء، وجعلت الروح العشائرية و القبلية هي القاعدة للتكريم، و صادرت الحريات. ولم يذكر التاريخ الإسلامي أنها اهتمت بأمور التعليم و شؤون التربية. ونحن نستعرض العمل السياسي و الاجتماعي و الإداري و القضائي لحكومة الخلفاء الثلاثة و حكومة الإمام أمير المؤمنين لابد لنا هنا أن نعتمد النصوص التاريخية الصحيحة من التعرف على خصائص عملهم و خصائص المراحل التاريخية التي مرّوا بها. حذراً من الانجرار وراء العواطف المذهبية. فالتاريخ الصحيح دليلنا و مرشدنا في محاولتنا لفهم الحكومتين.

إبراهيم محمد خليفة

سوريا/دمشق

في ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٦ م